

قصة

من الحقيقي بيننا

حمدي محمد شرف

من الحقيقي بيننا

بيت الأدب

حمدي محمد شرف

نوع العمل : قصة

الكاتب : حمدي محمد شرف

تدقيق : سهيلة الجندي

تصميم الغلاف : هبة عماد

تصميم داخلي : سارة عيد

تعبئة وتنسيق : سارة عيد

فريق عمل بوقار " بيت الأدب " للنشر الإلكتروني

<https://www.facebook.com/DarBovaar>

بوقار
بيت الأدب

كنت أردد دائمًا أنني مختلف، أنا لست من هنا، لكن لا أعلم أكنت على صوابٍ من أمري أم كنت مخطئًا، هل أنا حقًا كنت مختلفًا أم لا؟

رأيتُ أشعة الشمس تشرق في هذا الصباح، يجب أن أجعل جدي يستيقظ، يجب أن يذهب إلى العمل في محل الورود، نعم، يملك جدي محل ورودٍ أسفل المنزل، في حي بسيط، يكاد يأتي إلينا كل يوم ثلاثة زبائن، نحن نسكن في مدينة "سمنود"، محافظة الغربية، أمام إحدى المدارس التجريبية، في حجرته وجدتُ جدي "عليّ شاهين" ممسكًا بكتاب الله يقرأ سورة الكهف، ما إن أبصرني قام بالتصديق ثم ابتسم قائلاً: قد استيقظتُ قبل أن تأتي إلى حجرتي يا محمود، قلت لك لن تستطيع.

ابتسمت إلى جدي، أعلم أنني لن أستطيع أن أستيقظ في وقت مبكر عن جدي؛ فهو يستيقظ في الخامسة صباحًا كل يوم، أحضرت له الشاي؛ أعلم أنه قد أكل الفطور، جلست بجانبه أتردد كل يوم أن أقول له ما أخفيه داخل قلبي، لتخرج الكلمات من بين شفطي؛ لم أستطع أن أمنع نفسي عن قولها، تحدثت قائلاً: جدي، أعلم أنك تتمنى دائمًا لي التوفيق في كل شيء، قد أحببت فتاةً، وأريد أن يكون بيني وبينها رباط أمام العامة.

نظر إليّ جدي، لم يقل شيئاً، فقط أنهى كوب الشاي، ثم تحرك من مقعده، ونظر إليّ، ثم غادر دون كلام.

تحركتُ لأقف أمام الشرفة المطلة على تلك المدرسة، أتمتم بصوت منخفض: هل أنا مخطئ في قولي؟ لِمَ لَمْ يتحدث جدي؟ هل تكلمتُ بطريقة خاطئة؟ لا لم أتحدث بطريقة خاطئة، لِمَ يا جدي لم تتحدث؟

أخرجني من ما يدور في عقلي صوت هاتفي، لأجد حبيبتي جهاد هي من تتصل بي، لا أعلم ما أقول، كنت بجانب من الصغر، كبرنا معاً، افترقنا حين انتهت المرحلة الابتدائية، لم أرك سوى مرة بعد ذلك، حين وقفت أمام منزلي ليلاً تعتذرين أنك لن تستطيعي أن تريني بعد تلك الفترة؛ لتعطيني رقم هاتفك، ثم بعد ذلك أصبحت تلك الوسيلة هي المتاحة بيننا.

قمتُ بالرد سريعاً، ليأتي صوتها الحنون يحدث قلبي بصوت هادئ مثل قطرات الندى، أتخيلها قد أغرقت وجهي بحنان قائلة: "هل قمت بإخبار جدك يا محمود؟" تحدثت بحزن: نعم أخبرت جدي لكن لم يعطِ الجواب، فقط نظر ثم غادر.

-كيف لم يعطِ جوابًا؟! كل يوم أنتظر يا محمود متى سيأتي هذا اليوم، صدقني يا محمود كل يوم والدي يغضب؛ لأنني أرفض الاستمرار، في فترة الخطوبة قمت بجعلها ثلاث فترات خطوبة؛ لأنني أنتظر.

نظرتُ إلى السماء لا أعلم كيف أجيب، نعم، انتظرتني كثيرًا، بسببي كل يوم ترفضين من يأتي إلى باب منزلك يطلب من والدك أن يتقرب منك، وترفضين التقرب ثم تتم خطبتك على شاب، ثم بعد أسبوع لا تنجح الخطبة، ثم يتكرر هذا الأمر نعم، لكني لست المخطئ، بل أنا عاجز عن أمري.

-لا تقلقي يا حبيبتي أعدك سأحاول اليوم، لن أذهب إلى الجامعة اليوم، بل سأقصر لجدي كل شيء، سأقنع جدي بك.

لم أكن جيدًا في دراستي، رغم هذا حصلت في الصف الثالث الثانوي على سبعة وثمانين في المئة، لم أفضل القسم العلمي كثيرًا؛ لأنني كنت مغرمًا بمادة الفلسفة، عشقت تلك المادة، لم يساعدني المجموع كثيرًا، لأرى أمامي كلية الآداب، جامعة المنصورة تفتح أبوابها أمامي لأكون في قسم الفلسفة بداخلها.

قمتُ بارتداء ملابسني متوجهًا إلى جدي، ما إن دخلت محل الورود حتى وجدتُ جدي جالسًا في مقعده، بيده الجريدة مرتديًا نظارة القراءة، قمت بإلقاء التحية؛ ليردها جدي، جلست بالقرب من مقعده لتخرج الكلمات هادئةً من فمي:

-لِمَ لَمْ تُجِبْ يا جدي؟

أغلق جدي الجريدة، ثم خرجت الكلمات كالسيوف تمزق قلبي حين قال: لن أستطيع يا بني؛ ليلة أمس حين أخبرتك أنني ذاهب إلى منزل بنت أخي، قد ذهبت لكي أطلب ابنتها؛ لتكون خطيبتك، لم أعلم أنك تحب فتاةً أخرى سامحني يا بني.

نظرت إلى جدي بصدمة غمرت وجهي هذا مستحيل، كيف يعقل هذا؟!

لأتحدث إلى جدي قائلًا: ماذا كان الجواب يا جدي؟ أرجوك تحدث معي.

-غمرتها الفرحة حين أخبرتها أنني أريد ابنتها لك، قالت: لن ترى زوجًا لابنتها أفضل منك.

جلستُ على مقعدي لا أعلم ماذا أقول، هل هذا اختبار لي يا الله؟ كيف يكون هذا اختبار؟

ليس بيدي، ماذا أقول لحبيبتي؟ أم أرفض قريبتي؟ لا، ستحدث الكثير من المشاكل بين

جدي وابنة أخيه، نظرت إلى جدي ومازال ينظر إليّ، يعلم أنني أفكر، تحركتُ من مقعدي،

قمت بتقبيل يده، ثم صعدت إلي البيت، نعم، أعلم أن جدي علم الجواب أنني لن أسمح أن يخلف ما وعد به شخصًا آخر.

أتى المساء، لأجد جدي قد أتى إلى غرفتي يحمل بين يديه باقةً من الورد، قد صنعه لي، ثم جلس بجانبني على الفراش، نظر إليّ ثم تحدث قائلاً: أعلم أنني قد تسرعت، بعد وفاة والدك لم تتحمل والدتك الفراق لتلحق به سريعًا، صدقني يا محمود، لا أحد يعلم أين يكون الخير، قد تكون تلك الفتاة التي تحبها شرًا لك، ومن ستجلس بجانبها بعد قليل هي الخير.

نظرتُ إلى جدي بحزن يقتل قلبي قائلاً: قد تكون من أحببتها هي الخير ومن سأجلس بجانبها هي الشر.

بيت الأدب

نظر إليّ جدي بابتسامة قائلاً: نعم يا محمود، لا تنسى قلت لك لا أحد يعلم أين الخير.

قمتُ متوجهًا بجانب جدي إلى بيت قريبتني في الموعد المتفق عليه، ألقىت التحية على الجالسين، أعلم أنني مقبل على شيء لم أجره من قبل، جلستُ بجانب قريبتني نور، نظرتُ إليّ نظرةً لا أعلم أفرحًا؟ أم حزن؟ أعلم أنني منذ مدة طويلة كنت قد حضرت لها خطبة لم تنجح، هذا أمر صعب، الآن أنا بجانبها ستتم خطبتنا بعد يوم،

جلستُ بجانبها حين تركنا الجميع، لا أعلم ماذا أقول لكنني تحدثت؛ حتى أجعل هذا الجو به مرحٌ قليلاً، قائلاً: لا أصدق يا نور، كنت من فترة طويلة قد جلست في القاعة أراكي بجانب شخص، لأجد نفسي الآن بجانبك.

لتخرج ابتسامة لا أعلم أكانت حقيقية؟ أم لا؟

أجابت بخجل: لا أحد يعلم أين النصيب الذي يبعثه الله لنا.

ليبدأ بيننا الحديث عن الدراسة وبعض المرح حين كنا صغاراً، عن الحياة، عن الصعاب، لا أعلم هل سرقنا الوقت أم ماذا، لأجد الساعة قد قاربت على العاشرة و النصف مساءً، اعتذرتُ من نور عن تأخر الوقت ثم غادرت.

حين اقتربتُ من البيت وجدت المحل مفتوحاً، لأجد جدي يجلس ويده كوبٌ من الشاي، ابتسم حين أتيت،

وتحدثتُ بخبثٍ قائلاً: ماذا حدث يا بني؟ أرى السعادة تملأ ملامحك.

-صدقني يا جدي لا أعلم، تلك السعادة قد تكون لأنني مقبل على شيءٍ لم أجربه من قبل أم لأنني، لا أعلم صدقني، لا أعلم لكنني أجد قلبي به حزن يعتصر به دمائي.

-صدقني يا محمود، أنا فقط أريد أن أطمئن عليك، أريد أن أراك سعيدًا في حياتك،
مستقبلك، حين فكرتُ أن أجعلك تتقدم خطوة على زواجك، قلت الأقربون خير، صدقني
لم أعلم أنك تفكر في شيء آخر.

-أعلم يا جدي أنك لم تعلم ما كنت أخفيه، لا أحد يعلم أين النصيب، لا أحد يعلم لم
ظهرت نور في هذا الوقت.

قمتُ بإغلاق المحل، صعدنا أنا وجدي إلى البيت؛ لنجد الراحة في النوم بعد يوم شاق،
لنرى يومًا شاقًا آخر غدًا.

استيقظت على صوت هاتفي يصدر صوت نغمة، لأجد نور تتصل بي، تعجبت! قمت بالرد
لأجدها تخبرني: صباح الخير يا محمود، سوف أذهب إلى صالون التزيين؛ لأتزين لتلك الليلة
أريدك أن تتفق مع من يقوم بالتصوير.

تعجبتُ من هذا الأمر! أنا لم أعلم بهذا الأمر لأخبرها: أمر التصوير وقت الزواج ليس الآن.

-لمَ ليس الآن؟ هذا أول طلب أطلبه منك، لمَ لا تريد أن تحققه؟

-أنا أريد أن أحقق لك كل شيء، لكن فقط أخبرك أن هذا الأمر وقت الزواج، ما نفعه الآن
نقوم بالتقاط صور ألبوم كما يفعل أي شخص مقبل على تلك الخطوة.

رأيت صوتها قد تبدل لتخبرني: حسنًا يا محمود، سوف أذهب الآن.

ثم أغلقت الخط.

جلستُ على السرير أتمتم: لا أعلم شيئًا، لِمَ تتحدث هكذا؟ أنا فقط أخبرتها أن الأمر ليس الآن، أنا لا أملك ثمن هذا التصوير، كل ما أستطيع أن أملكه من العمل بجانب جدي يساعدني أن أتخطى الأسبوع أنا لا أعلم هل ما أملكه سيساعدني لكي أدفع ثمن ألبوم التصوير؟ أم لا؟

قمتُ متوجهًا إلى المحل، جلستُ بجانب جدي كما أفعل كل يوم، أخبرته عن ما حدث بيني وبين نور منذ قليل، لأجد جدي يبتسم ثم أخبرني: "أنت يا بني لا تعلم شيئًا عن عقل المرأة، إذا أخبرك شخص أنه يعلم كل شيء عن المرأة، صدقني يا بني هذا الشخص كاذب؛ فكل امرأة تختلف عن الأخرى، لا توجد امرأة لا تفكر، قد تفكر المرأة بشيء تريده بأي ثمن، لكن حين تجد أن زوجها لا يريد هذا الشيء صدقني تنسى أمره."

-لكن يا جدي حين أخبرتها أن هذا الأمر ليس الآن تغيرت لهجتها ثم تحججت أنها ستغادر الآن.

-صدقني يا بني الفرح يسيطر عليها الآن تريد أن تجعل هذا اليوم مختلفًا.

أثناء حديثي مع جدي وجدت هاتفي يهتز لأجد نور هي من تتصل، لينظر إليّ جدي، ثم طلب مني الرحيل لأحدثها، خرجتُ من المحل أجيب على الهاتف، لأجد نور تحدثني أن أتوجه إلى صالون التزيين في الساعة السابعة مساءً، ثم أخبرتني أنها قامت بدعوة بعض الأصدقاء ليساعدها هناك، حتى لا أخجل منهم، فأخبرتها أن لا تقلق من شيء، وأني سوف أكون حاضرًا في تمام الساعة السابعة.

قام جدي بإحضار عربة جلس قرابة الساعة يزينها أخبرت أصدقائي، ما إن علموا بأمر خطبتي حتى وجدتهم بجاني، جلس جدي داخل العربة، أجد السعادة تملأ كل نظرة تخرج من عينه لي، لا يصدق أنني أصبحتُ في هذا العمر، تحركت العربة إلى صالون التزيين بعد مدةٍ قصيرةٍ خرجت من العربة بيدي باقة من الورد، تقدمتُ على درجات السلم لأرى نور أمامي، ترتدي فستانًا أبيضًا، قد جعلها مثل البدر يضيء لي جعل كل عاشقٍ يفكر في حبيبته، ليجعل كل شاعر يبدع في قصائده، تقدمتُ قليلًا، لأجدها تبتسم بخجل، ما إن تقدمتُ أكثر وجدتُ أكبر صدمةٍ قد ظهرت أمامي، وجدت حبيبتي جهاد تخرج من الغرفة الجانبية سريعًا بيدها فرشاة لكي تساعد نور، ما إن أبصرت وجهي سقطت الفرشاة من يدها بصدمة لم تتصورها في تلك الحياة، وجدتُ الدموع تتكون في عينيها، تحاول أن تمسك بكل دمعة، لأجدها تهرب سريعًا إلى الداخل مُجددًا، وتظاهرت أنها نسيت شيئًا،

نظرتُ إليها بصدمةٍ قد مزقت قلبي، أي قدر يفعل بي مثل هذا الأمر؟! لمَ يا الله تفعل هذا بي؟ أعطيتُ باقة الورد إلى نور، وتوجهت إلى العربة لأجد جدي يبتسم إلينا، تحركت العربة، نظرتُ إلي المرأة الجانبية، لأجدها تعكس لي صورة حبيبتي جهاد في الخلف، حاولتُ أن أتحكم في دموع عيني لكن تلك الدمعة خذلتني ثم سقطت.

توجهنا إلى منطقة التصوير؛ لكي تكون بيننا تلك الذكرى، التقطنا بعض الصور ثم توجهنا إلى إحدى القاعات، رأيتُ السعادة على جدي، بل رأيتُ الدموع تسقط من كل عين، نعم جدي سعيد الآن، تلك اللحظة كانت أجمل شيء حدث في هذا اليوم أثناء كل ما يحدث حولي، نعم رأيت حبيبتي واقفة من بعيد تنظر إليّ بصدمة، وجدت الدموع تسقط منها، نعم أعلم ما تفكر به الآن، أعلم أنها تقول أنني خائن، لا بل قد تقول أنني لا أستحق شيء، ضحيت بكل شيء لأكون سعيداً في تلك الحياة، قد تكون تقول: "ألا تعلم أنك دمرت حياتي؟ كنت أرفض كل يوم شخصاً بسببك، ضحيت ثلاث مرات، قبلت أن أكون مع أحد غيرك ثم أرفضه بعد أسبوع أو أقل من أجلك، لمَ تفعل هذا بي؟ ومع من! صديقتي،

لمَ قلبك هكذا؟

رأيتُ حبيبتي جهاد لآخر مرة في هذا الوقت تغادر، أعلم يا جهاد أنني أستحق كل كلمة ضدي منك، صدقيني لم أستطع، لا أعلم ماذا أقول لنفسي، نعم سوف أتصل بها أخبرها عن كل شيء، نعم، أمسكت بهاتفي بحثت عن رقم جهاد ثم قمت باتصال لأجد أن رقمي قد تم وضعه في الخانة السوداء، بحثت في كل وسائل التواصل الاجتماعي، قد تم حظري من كل شيء، نعم أستحق هذا يا جهاد أستحق هذا.

رن هاتفي توجهت إليه سريعاً لكنني وجدت أنه صديقي أحمد -صديق قد تعرفتُ عليه في كليتي من مدينة المنصورة- يخبرني أن اليوم يجب أن أسلم شيت دكتور صبري؛ لأن اليوم هو الأخير، أخبرته أنني سوف أكون في الموعد قمت بتجهيز كل شيء، توجهت سريعاً إلى موقف الحافلات، لأذهب سريعاً إلى الجامعة، ما إن وصلتُ قمتُ بتحية أصدقائي، رأيت الجميع على وجوههم السعادة، جلست بجانبهم لكنني رأيتُ فتاةً تنظر إليّ خلسة، ثم تنظر أمامها.

بعد انتهاء اليوم رأيتها تنادي، نظرت إليها متعجباً قائلاً: أهلاً بك، أنا أعرفك جيداً، أنت من مدينتي.

نظرت إليّ بخجل ثم قالت: نعم أنا من مدينتك. - ثم نظرت حولها قائلةً:- أعتذر سوف أأغار.

-لم لا تركبين برفقتي؟

نظرت إليّ بخجل قائلةً: لا أستطيع، أعتذر مرة أخرى.

نظرتُ إليها تغادر وتنظر إليّ كل مره تتقدم فيها إلى الأمام، لا أعلم ماذا يحدث لي الآن، حين عدت إلى، البيت تعجبت أن نور لم تتصل بي قمت بالاتصال بها حين أجابت تعجبتُ ممًا قالته: حين تذكرت قمت بالاتصال بي؟!

ليخرج أول رد مني: ألا تعلمين أنني في الجامعة؟ كيف أتصل وأنا أدرس؟!

بيت الأدب

-لا أعلم، لكن كنت ستجد طريقة لو كنت تهتم بي."

"صدقيني حين عدت من الجامعة أول شيء قمتُ به هو الاتصال بكِ حتى أطمئن عليك.

-أنا بخير، شكرًا لك أنت متعب يجب أن ترتاح الآن

-شكرًا لكِ سوف أتصل بكِ قريبًا.

-لا تتأخر؛ أنا أنتظرك.

جلستُ على أريكتي لا أعلم ماذا يحدث، تذكرتُ تلك الفتاة في الجامعة، أخذت أتمتم: لمَ نظرت إليّ هكذا؟ لمَ تحدثت معي؟ رأيت الحب في عينيها.

أبصرت باب البيت يفتح، لأجد جدي قد عاد، نظر إليّ بابتسامته المعهودة قائلاً: أراك اليوم مختلفاً يا محمود، أظن أن هناك ما يشغل عقلك تحدث يا بني.

نظرت إلى جدي لتخرج الكلمات من داخلي: لمَ يا جدي في بعض الأوقات أجد من يدخل إلى عالمي دون إذن مني؟

نظر جدي إلى وجهي دون إجابة، ظننت أنه لم يفهم كلماتي، لأجده يضع يده على كتفي الأيمن، ثم خرجت الكلمات تريح قلبي قائلاً: لا أحد يا محمود يدخل في حياة شخص دون إذن، تذكر أن الله هو من يبعث لكل شخص منا من يكون بجانبه، لكن يا محمود لا تقل هذا من بعثه الله لي إذاً هو خير، قد تجد الله يختبرك يا بني؛ ليري ماذا ستفعل في هذا الوقت، هناك من يدخل الحياة من باب الشر، وهناك من يدخل الحياة من باب الخير، أنت من تحدد أي باب ستغلقه، الخير أو الشر.

نظرتُ إلى جدي -الذي تحرك من مقعده ليدخل إلى غرفته؛ ليستريح من تعب اليوم- أتمتم بصوت منخفض: أعلم يا جدي أنني مقصر معك في العمل، لكن هذا ليس بيدي، حين أنتهي من فترة تعليمي أعدك سأعمل بدلاً منك.

توجهتُ إلى غرفتي، وكل ما يدور في عقلي تلك النظرة التي رأيتها في أعين تلك الفتاة التي كانت معي في الجامعة، لمَ كانت تنظر؟ أهي معجبة بي؟ لا أعلم، لأتذكر كلمات جدي في عقلي، "أنت من سيحدد أي باب ستغلقه." لأبعد تفكيري في تلك الفتاة أغرق في نوم كنت أتمناه بعد يوم متعب لجسدي.

استيقظت في تمام الساعة صباحًا على صوت جدي ينادي، بالتأكيد جدي قام بتجهيز الفطور لكلينا لأبدأ يومي.

قبل ذهابي إلى الجامعة تصفحت هاتفي لأجد نور قد بعثت رسالة تخبرني أنني لم أتصل بها، وبعض من كلمات الإناث مثل "أنت لا تهتم بي"، "هناك ما هو أهم مني" الكثير من تلك العبارات أخذت وعدًا على نفسي حين أعود من الجامعة سوف أتصل بها؛ لنخرج معًا نجلس في مقهى أخبرني به صديقي حتى نتقرب أكثر، قبلت يد جدي مودعًا، لأغادر إلى الجامعة، حين دخلت إلى مدرجي، وجدت تلك الفتاة تنظر بابتسامة ساحرة، لا أعلم لمَ

تنظر هكذا، جلستُ أنظر إلى أرضية المدرج؛ حتى أتحاشى النظر إلى تلك الفتاة منتظرًا
دكتورة نيئين لتلقي علينا المحاضرة، لكن وجدت أحد العاملين يدخل معتذرًا أن الدكتورة
لن تأتي اليوم، ليقوم بعض من الزملاء بمغادرة المدرج، تحركت من مجلسي لأغادر، حين
خرجتُ وجدتُ هذا الصوت الساحر ينادي مرة أخرى، حين التفتُ وجدتُ هذا الوجه
المشرق بابتسامة خجل أمام عينيّ يبتسم قائلاً: بالأمس لم أستطع أن أتحدث، كان من
الأصح لي أن أغادر، أعتذر لك.

نظرتُ إليها بقلبٍ فرح لرؤيتها أمامي، لتخرج الكلمات من فمي لا أعلم كيف فعلت هذا،
لكني قمتُ بدعوته لنجلس معًا في مقهى بجانب الجامعة، قابلني الرد بالموافقة، جلسنا
معًا لتخبرني قائلةً: "أعلم أنك لا تعلم اسمي، أنا ريم ناصر كنت معك في درس التاريخ في
الصف الثالث الثانوي."

اعتذرت لها أنني لا أتذكر، كنت سأكمل كلامي لأجدها تطلب مني أن نكون أصدقاء، لم
أجد سوى الموافقة سريعًا، لكنني لم أعلم لما وافقت، لم أنا سعيد لهذا الأمر؟
جلستُ برفقتها، بل قضينا اليوم معًا، طلبتُ أن تتركب معي لنعود، ووافقت.

حين اقتربنا من مدينتنا قمت بإيقاف سيارة؛ لكي تقوم بتوصيلها، بابتسامة لا أعلم ماذا تقول تلك الابتسامة لقلبي، ذهبتُ إلى البيت لأجد رقمًا جديدًا على "الواتس" قام بإرسال رسالة لي، "لقد عدتُ إلى البيت" علمت أنه رقم ريم، جلستُ أتحدث معها، أبعث برسالة ليأتيني الرد سريعًا، أبتسم حين أقرأ الرسالة، نتحدث ماذا سنفعل في الغد في الجامعة، لأجد نفسي أتذكر خطيبي نور، اعتذرتُ من ريم، ثم بحثت عن رقم خطيبي سريعًا، اعتذرت لها ليأتيني الرد: رأيتك أمامي متصلًا على "الواتس" لم تبعث لي رسالة واحدة، مع من تتحدث أهم مني؟

اعتذرت لها أنني أتحدث مع بعض الأصدقاء عن بحث لدكتور ما حتي أنني تلك السنة؟ ثم قلت لها مداعبًا: من أهم منك؟

لتأتيني ابتسامة خجل، ثم طلبت منها أن تجهز نفسها؛ لأنني سوف أكون أمام منزلها؛ لكي أصطحبها لنخرج بعيدًا أنا وهي، لأجد السعادة قد خرجت من هاتفي ثم طلبت مني أن أغلق الخط حتى تجهز.

بعد نصف ساعة كنت أقف أمام بيتها، لأجدها تخرج مرتديةً جيبة سوداء مع جاكيت أبيض، لا أعلم في ملابس الإناث حقيقةً؛ فهناك مائة اسم لنفس الشيء، أسرعت إلى جانبي ممسكةً بيدي قائلة: إلى أين سنغادر أنا وأنت؟

نظرت إلى عينيها مبتسمًا: سوف نجلس في مقهى أعلمه جيدًا أنا وأنت.

رأيتُ الحب في تلك الأعين، أعلم قد تكون طريقة الكلام لدى نور غير مرتبة، تتحدث فقط بما تشعر به، لكن أيضًا رأيت طفلةً صغيرةً تسكن هذا القلب، جلستُ بجانبها أتحدث عن الجامعة، عن العمل، أحاول جاهدًا أن أجعل ضحكةً جميلةً تزين هذا الوجه الصغير، لا أعلم هل أحببتها أم لا، لكنني وجدتُ يدها تمسك بيدي لتخرج تلك الكلمة من داخلها: أنا أحبك.

لا أعلم هل شعرتُ بتلك الكلمة بداخلي أم لا، لكن خرجت تلك الكلمة دون شعور من قلبي: وأنا أحبك.

لكنني خنتُ قلبي في هذا الوقت عدتُ إلى البيت، ما إن جلست على مقعدي حتى وجدتُ هناك أكثر من سبعة رسائل من ريم، فتحت تلك الرسائل لأجدها تخبرني أنني تأخرت في

الرد، لأقوم بإرسال تسجيل صوتي معذراً أنني منشغل قليلاً مع جدي في العمل، لأجدها قد أرسلت لي رسالة تخبرني: لا تكذب عليّ يا محمود أعلم أنك منشغل مع خطيبتك.

في تلك اللحظة توقف عقلي عن التفكير، لا أعلم ماذا أقول لكنني أرسلت لها الرسالة الأخيرة

-أراك غداً يا ريم.

ألقيتُ بجسدي على فراشي، أتمنى النوم أن يزور عيني سريعاً، لا أريد أن أفكر في شيء، كان يوماً طويلاً، لأسمع عقلي يحدثني "أخبرني من تخدع؟" لأفتح عينيّ أتحدث دون صوت نعم من أخدع؟ من أحب؟ تلك الكلمة لم أشعر بها حين خرجت مني.

من أحب حقاً؟ نظرتُ في ساعة هاتفي لأجدها قد قاربت على الثالثة صباحاً، ألقيتُ بجسدي على فراشي، ثم أغمضتُ عينيّ متوسلاً عقلي أن يتوقف عن التفكير، لأجد نفسي أغرق في نوم أريده، مرّ الوقت سريعاً لأجد جدي يوقظني من نومي؛ لكي أكرر ما فعلته بالأمس، نعم تلك الأيام تتشابه كثيراً، استيقظت من نومي متوجهاً إلى حمامي، ثم أجلس رفقة جدي لأتناول فطوري، ثم أذهب إلى جامعتي، لكن هناك صوت يحدثني: أرجوك لا تذهب اليوم، أنت في طريق لا أحد يعلمه، صدقني أنت بجانبك فتاة أخبرتك أنها تحبك.

لم أستمع إلى هذا الكلام، أنا يجب أن لا أغلق كل الطرق، لا أحد يعلم، قد تكون تلك الفتاة هي من الله لي، خرجت متوجهًا إلى موقف السيارات بانتظار سيارة الجامعة، لأجد من يضع يده على كتفي، نظرت خلفي لأجدها واقفةً تنظر إلى وجهي.

-كيف علمت أنني سوف أكون هنا في هذا الوقت؟

-لقد انتظرتك بعيدًا حتى تخرج من البيت.

نظرتُ إليها في دهشة من أمري، كيف هذا؟! أي حب يجعل حبيبتك تقف خارج البيت كل هذا الوقت في انتظارك و أنت لا تعلم؟! وقفتُ أبتسم من هذا الأمر ثم أتت السيارة، وقفتُ حتى تدخل ثم جلست بجانبها، ما زالت تلك الابتسامة على وجهي، حين وصلنا إلى وجهتنا نظرتُ إليها.

-هيا نحضر أول محاضرات هذا اليوم.

لأجدها تنظر إلى عيني قائلة: هل أستطيع أن أطلب منك شيئًا؟

نظرتُ إليها متعجبًا، ثم طلبت منها أن تتحدث.

-هل نستطيع أن نجلس بعيدًا أنا وأنت؛ لننتحدث قليلًا.

ابتسمتُ إليها ثم طلبتُ منها أن تجلس في مكان بعيد؛ لأنني علمتُ أن كلماتها قد تكون لها أهمية كبيرة، جلسنا في مقهى خارج الجامعة، أخذنا موقعاً بعيداً عن عامة الناس من حولنا، لتخرج كلماتها مثل صاعقة تخترق قلبي.

: حين رأيتك أول مرة في ذلك الدرس، أحسست أن قلبي قد سقط من موضعه، رأيتُ أن الدماء لا تذكر سوى حروف اسمك بداخلي، لم أستطع أن أسيطر على نفسي، هذا أجمل إحساس شعرتُ به، كنتُ أتعمد الغياب؛ حتى لا أراك، كنتُ أخشى أن أتحدث إليك، كنتُ أراك دائماً ملتزماً حين تأتي إلى هذا الدرس، ثم تغادر لتقف مع جدك في محل الورود، لا أعلم لما أحببكَ قلبي، لا أعلم لما دخلتُ أنا قسم الفلسفة رغم كرهى لتلك المادة، فقط دخلت لأراك أمامي، وحين علمت بخطبتك حزنت كثيراً، أنا أعتذر لك يا محمود، صدقني أحببتك بأمرٍ بعيدٍ عني، لا أستطيع فعل شيء سوى أن أحبك، رغم هذا لن أقرب منك بعد اليوم؛ احتراماً لخطيبتك.

بعد تلك الكلمات رأيتُ ريم تغادر المقهى، رأيتُ الدموع تسقط من عينيها، جلستُ في مقعدي، لا أستطيع التفكير في شيء سوى ما سمعته، من الحقيقي بيننا أنني الذي لا أرى الحب بداخلي لخطيبتي، أما أنتِ يا ريم؟

لَمْ أخفيتِ هذا الحب من البداية؟ لَمْ لَمْ تتحدثي ولو كلمات بسيطة من قبل؟ رغم هذا أحبكِ قلبي، لَمْ يا الله أرسلت لي تلك الفتاة في هذا الوقت، هل تلك الفتاة هي الشخص الحقيقي لي؟ أم تلك الفتاة هي الشخص الخاطيء؟

لم أستطع أن أذهب إلى محاضراتي، قمتُ بمغادرة المقهى سريعًا إلى البيت، لا أريد أحدًا أن يتحدث معي الآن، كل ما أريده الآن أن أستشير قلبي في هذا الأمر، رغم هذا لا أريد أن أكسر قلب كل من يحب، أمسكتُ بهاتفِي، بحثتُ عن رقم خطيبتِي نور، لأسمع صوتها يتحدث قائلاً: لَمْ لم تتصل بي؟ أنت لا تهتم، أنت حين تذهب إلى جامعتك لا تفكر بي.

بعد أن انتهت من حديثها، لم أجد نفسي سوى وأنا أتحدث بغضب قائلاً: أنت لا تهتمين بشيء سوى نفسك فقط، يجب أنا من يتصل، كل يوم حين نخرج تكونين في قمة الحب، حين تعودين إلى البيت لا تهتمين بي، ماذا أفعل لكي تكوني سعيدة؟ ماذا أفعل لتجدي الاهتمام دائمًا؟ أتعلمين؟ أنا المخطئ من البداية حين خرجتني ولم تخبريني أنك خرجتني دون إذني؛ لكي تأتي بتلك الصور لنا من الأستوديو.

ثم أنهيتُ الاتصال، شعرتُ براحة سيطرت على قلبي، أحسست أن قلبي كان بداخله كبت ثم خرج الآن، بعد هذا اليوم تبدل كل شيء، أصبحتُ مختلفًا كثيرًا، أصبحت في المنزل

دائمًا لا أغادره، لا أتحدث إلى أحد، لا أساعد جدي في المحل، لا أذهب إلى جامعتي، أجلس وحيدًا فقط.

وجدت باب غرفتي يفتح، لأجد جدي يحمل الطعام بين يديه ليأتي إليّ بوجه مبتسم، هذا الوجه الذي أعشقه، حين أرى جدي أشعر أن كل مشكلة لها حل، جلس جدي بجانبني قائلاً: لا أعلم يا محمود لم أنت حزين، لكنني سوف أقول لك أن ما تشعر به حقيقي بداخلك هو الصواب الآن، لكنني قلت لك انظر إلى كل باب أمامك، حاول قبل أن تغلقه، أنا أحبك يا محمود، اقترب أكثر من كل شيء حين ترى أن ما تقترب إليه مؤذٍ ابتعد سريعًا، ثم قم بإغلاق الباب.

نظرت إلى جدي، لا أعلم ما أقوله لكنني قلت له: إذا كان ما يؤذيني هو قلبي ماذا أفعل؟

ابتسم جدي ثم قال: القلب بداخلنا يا محمود هو مؤشر الحياة، هو الرباط الذي يقربنا ممّا نحب، هو الحياة يا محمود، أنت ما زلت واقفًا على قدمك، انظر أمامك، لديك حياة واحدة فقط، لديك بابان مفتوحان، أي باب ستغلقه؟ لكن قبل هذا حاول مع كل باب.

نظرتُ إلى جدي وهو يغادر، نعم يجب أن أحاول مع كل باب قبل أن أغلقه، قمت من على فراشي لأغير ملابسي سريعًا متوجهًا إلى بيت نور خطيبتي، وقفتُ أمام باب بيتها، قمتُ

بالطرق على باب البيت لأجد والدتها تنظر إليّ في حزن، سلمتُ عليها ثم جلست في غرفة الضيوف، لأجد نور تأتي إليّ بوجه يملؤه الغضب والحزن معاً، أمسكتُ يدها معتذراً عما فعلته، لأجدها تسحب يدها من بين يديّ لكن لفت نظري أنها لا ترتدي دبلة الخطوبة.

تحدثت قائلاً: أين الدبلة؟

أجابت بارتباك: كنت أغسل يدي بالصابون، لأبد أنني نسيت الدبلة على الحوض.

تحركت سريعاً لتحضر الدبلة، ما إن ذهبت وجدت هاتفها أمامي يرن، أخذت أنادي عليها لكنها لم تجب، نظرت إلى شاشة الهاتف لأجد اسم "م" وجدت الفضول يقتلني من الداخل أن أجيب، قمتُ بفتح الخط لأسمع صوتاً يقتلني من الداخل،

مر أسبوع يا نور، لقد قلتي لي أن تلك الخطبة سوف تنتهي، مر أكثر من ثلاثة أشهر على تلك الخطبة، كل يوم تقولين لي ستنتهي قريباً، حدثت مشكلة بينكم الآن، أنه تلك الخطبة مستغلةً تلك المشكلة.

دخلت نور لتجدني ممسكاً بهاتفها والدموع تسقط من عينيّ، نظرتُ إليها ثم أبعدت الهاتف، اقتربت من يدها لأزيل الدبلة ثم تركتها.

كنت في حالة قد ينتحر أي شخص إذا لم يسيطر على نفسه من تلك الصدمة، حين ترى أن كل ما كانت تتحدث به خطيبتك أو هام فقط، لتزيد يومًا أو يومان في تلك الخطبة؛ حتى لا يقول عنها الناس من حولها لم تستمر كثيرًا هي السبب، لا أحد يتحملها، عدتُ إلى البيت، وجدتُ جدي جالسًا على مقعده وبين يديه كتاب الله، حين رأى وجهي أمامه قال "صدق الله العظيم"، حين انتهى من جملته لم أشعر بنفسي إلا وأنا بين أحضانه أبكي، جلس جدي مذعورًا لا يعلم سبب بكائي، لأجلس بجانبه حين هدئتُ أخبرته كل شيء وما حدث لي هناك، ابتسم لي ثم قال: أنا من البداية أخطأت حين فعلتُ شيئًا لم أستشرك به، كنت بجانبك، بعث الله لك فتاة أخرى لتظهر في وقتها، لتزيل كل شيء بداخلك، أخبرتك يا محمود أن تحاول، كل يوم كنت أدعو لك، كان اليقين بداخلي أن يظهر الله لك الحقيقة،

بيت الأدب

أرايت جمال الله يا محمود؟

نظرت إلى جدي وتحدثت باكيًا: نعم يا جدي رأيت جمال الله في كل شيء، أنت لم تخطئ يا جدي، أنت سبب جميل، كنت أحب فتاةً في البداية، لكنني كسرت قلبها.

قاطعني جدي ليقول: لا لم تكسر قلب أحد بل هذا أيضًا سبب جميل، أنا أعلم تلك الفتاة التي كنت تحبها، ما فعلته لم يكن بكسر قلب أحد، من المؤكد أن الله قام بإبعاد تلك الفتاة عنك لسبب قد لا يكون الخير لك.

- نعم قد لا تكون الخير لي، الله يعلم الخير لجميع الناس، حين أبعدها، وحين كشف لي حقيقة خطيبي، حين أظهر لي ريم في حياتي، نعم حين ظهرت كان وقت ظهورها هو الحقيقة لي في تلك الحياة، ماذا أفعل الآن يا جدي؟

ابتسم جدي لي ثم أخبرني بخمسة كلمات: حاول قبل أن تغلق الباب.

ابتسمت إلى جدي ثم استأذنت لأدخل إلى غرفتي، ولا أعرف كيف مر هذا اليوم.

استيقظت من النوم على صوت جدي في محل الورود يتحدث بصوت عالٍ مع أحد، حين توجهت إلى المحل وجدت نور ووالدها يتحدثان مع جدي بعض الكلمات مثل أي خطبة لا تكتمل؟ ابنتي ليست مخطئة بل هو من أتى وغادر سريعاً، قام بالصراخ في وجه ابنتي، هذا ليس صواباً، هو يأتي ويغادر وقت ما يجب.

دخلت إلى المحل، ألقى التحية على الجميع، لم يجب أحد سوى جدي، تحدثت إلى والدة نور معتذراً لها عن ما حدث، لم أتحدث سوى بعض من الكلمات التي تغلق هذا الحديث و لا يفتح مرة أخرى قائلاً: ابنتك مثل أخت لي، لم نستطيع أن نتعايش سوياً، لم نستطيع أن نستمر في هذا الأمر، أنا أتمني لها التوفيق في حياتها القادمة مع من تختاره، من الممكن أن تجد به شيئاً أفضل مني، لا ألومها مطلقاً، هذا الأمر في البداية و النهاية هو إختيارها.

استأذنت من الجميع مغادراً، ثم قبلتُ يد جدي لأغادر إلى جامعتي.

توجهتُ إلى موقف السيارات كالعادة أنتظر سيارة الجامعة، قلبي يدق سريعاً لا أعلم ماذا سيحدث اليوم، شعرتُ ببعض الخوف قد تسرب إلى قلبي، لا أعلم لماذا هذا الخوف.

حين وصلتُ إلى جامعتي وقفتُ أمام المدرج، دخلتُ إلى الداخل، أخذتُ أنظر إلى كل وجه،

لا أرى حبيبتي ريم، تركتُ المدرج سريعاً، لا أعلم أين هي الآن، أخذتُ أتحرك في كل مكان في

الجامعة، أبحث عنها، أين هي الآن؟ لم أجدها، جلستُ علي سلم الجامعة أفكر، إلى أن

تذكرتُ آخر موعد جلسنا به معاً في هذا المقهى خارج الجامعة، تحركتُ سريعاً أركض،

أتذكر كل لحظةٍ معها، أتذكر أول مرةٍ تحدثنا، أتذكر حين جلسنا معاً، أتذكر كل كلمة

تحدثتُ بها، أتذكر حين أخبرتني أنها تحبني، وقفتُ أمام المقهى، وجدتها جالسةً في نفس

المكان الذي اعترفت بحبها لي فيه، تنظر إلى مقعدي الفارغ أمامها، كأنها تتخيلني أجلس

أمامها، دخلتُ بكل هدوء، والعشق يقتلني من الداخل، لأجلس أمامها، وجدتُ الصدمة قد

سيطرت على ملامح وجهها أمامي، حركتُ يدي ببطءٍ نحو يدها، لتخرج الكلمات من فمي

قائلاً: حين أبصرتكِ أمامي أول مرة، لم أصدق أن قلبي سيعشق فتاةً بجمالكِ، أحببتكِ

بجنون، لم أستطع أن أرى أحداً غيركِ بجانبني يا ريم، أنا أعشق كل دمعة سقطت من

عينيكِ آخر مرة رأيتكِ، أنا أتمنى أن تكوني معي إلى آخر يومٍ لي في تلك الحياة."

رأيتُ ريم تقف والدموع تسقط من عينيها مثل شلال يلقي الماء الذي يأتيه، تحركتُ من مكاني لأقف أمامها، أخرجتُ الدبلة من جيبِي ثم سقطت على ركبتي لتتحرر تلك الكلمات:

هل تقبلين أن تكوني بجانبِي لآخر يومٍ في تلك الحياة؟

لأجد رأسها يهتز أمامي موافقةً، لأقف أمامها محتضناً إياها أمام كل من في المقهى.

"لا أحد يعلم ماهية القلب، لكلٍ منا قلب مجنون."

****تمت****

بيت الأدب